جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم الفلسفة

الفعل الأخلاقي
عند أوغسطين والغزالي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب (الفلسفة)

مقدمة من الطالبة
عفاف خليفة علي شويه

تحت إشراف

أ.د. منى عبد الرحمن المولد
أستاذ مساعد فلسفة قديمة
وعصور وسطى
كلية البنات – جامعة عين شمس

د. ماجدة طه سليم
مدرس علم الأديان المقارن
كلية البنات – جامعة عين شمس

2018م

جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم الفلسفة

صفحة العنوان

اسم الباحثة : عفاف خليفة علي شوية

الدرجة العلمية : دكتوراه

القسم التابع له : الفلسفة

اسم الكلية : كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

سنة المنح : 2018م

جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم الفلسفة

رسالة دكتوراه

اسم الطالبة: عفاف خليفة علي شوية

عنوان الرسالة: الفعل الأخلاقي عند أوغسطين والغزالي

اسم الدرجة : (دكتوراه)

لجنة الإشراف

أ. د. منى عبد الرحمن المولد — **الوظيفة: أستاذ مساعد فلسفة قديمة وعصور وسطى**
كلية البنات – جامعة عين شمس

د. ماجدة طه سليم — **الوظيفة: مدرس علم الأديان المقارن**
كلية البنات – جامعة عين شمس

تاريخ البحث : / /2018

الدراسات العليا

ختم الجامعة — أجيزت الرسالة بتاريخ / /2018

موافقة مجلس الكلية / /2018 — موافقة مجلس الجامعة / /2018

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

صدق الله العظيم

[سورة النحل: آية 90]

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم، وأجرى على لسان عباده ينابيع الحكم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، فهو خير حكم بالعدل دوماً في ما نظم وقدر، وأشكر أفضاله ونعمه التي لا تحصى على شخصي وعلى العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حيث هداني إلى نخبة من العلماء الأفاضل فكانوا نعم الموجهين والمرشدين على درب العلم وسبيل المعرفة، وحسبنا في ذلك قول رسولنا الكريم ﷺ "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

وفي هذا المقام يسرني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري وامتناني إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة/ **منى عبد الرحمن المولد** أستاذ الفلسفة اليونانية والعصور الوسطى بالكلية على قبولها الإشراف على هذا البحث، وما قدمته للباحثة من نصح وإرشاد، وما بذلته من جهد في قراءة البحث، فقد كانت لملاحظاتها الدقيقة، ومناقشاتها الثرية بالغ الأثر في تنقيح وتصحيح المادة العلمية، فلها من الباحثة جزيل الشكر والامتنان، والدعاء لها بتمام الصحة والعافية.

كما أتقدم بوافر الشكر والامتنان للدكتورة الفاضلة/ **ماجدة طه سليم** مدرس علم الأديان المقارن بالكلية المشرف الثاني على الرسالة لما أبدته من ملاحظات وتوجيهات بناءة منذ بداية هذه الدراسة حتى نهايتها فجعلها الله نبراساً في سماء العلم والمعرفة.

والشكر موصول لعضوي لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور/ **هشام صالح سليمان** أستاذ الفلسفة الحديثة المساعد بكلية التربية، جامعة الإسكندرية.

والأستاذة الدكتورة/ **سها عبد المنعم شبايك** أستاذ الفلسفة الإسلامية بالكلية، على جهودهما في قراءة الرسالة وتصويبها، وإبداء الملاحظات القيمة عليها ما سوف يثري البحث والباحثة على حد سواء.

أما أبي العزيز أطال الله بقاءه وحفظه من كل شر وسوء فما تمكنت من إتمام رسالتي – بعد فضل الله وتوفيقه – إلا بفضل دعائه لي ليل نهار، ولطالما حنت عيناه

شوقاً لوصول هذه اللحظة وحضوره يوم مناقشتي لرسالة الدكتوراه، وها أنا أقدمها بين يديه، ولقد أرضاني الله بك فهل رضيت عني؟

أما أنت يا نبع الحنان ويا جنة كانت لي في الدنيا.. أمي الحاضرة الغائبة، كم تمنيت أن تكون بيننا اليوم، ولكن هذه إرادة الله ولا اعتراض على حكمه.. اللهم اغفر لها وارحمها وأدخلها الفردوس الأعلى من الجنة.

كما أقدم شكري وتقديري لزوجي الغالي الذي وقف بجانبي طيلة فترة إنجاز هذه الرسالة، حيث كان نعم السند والرفيق لي، وشكري موصول لأولادي: الفاروق، والمعتصم بالله، واليمان، وآسر، وأطلب منهم السماح لما تحملوه من غربة ومشاق وتعب وانشغالي عنهم طيلة فترة الدراسة، فأسأل الله أن يحفظهم وينير دربهم ويرزقهم النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن ينال هذا العمل القبول والرضا، وأن ينفع به، فحسبي أني اجتهدت فإن أصبت فهو توفيق من الله وإن قصرت أو أخفقت فالكمال لله وحده.

والله ولي التوفيق،،،

الباحثة

المقدمة

تعد الأخلاق في حياة الإنسان هي القانون الذي يحفظ وجوده الداخلي والخارجي، فهي ضرورية لتستمر حياة الفرد في صورة مثلى على المستوى الفردي والجماعي، فإذا تخلق الفرد بالأخلاق الحسنة استطاع أن يصل إلى السعادة المرجوة في الدنيا والآخرة.

ولا شك في أن الأخلاق بطبيعتها أقرب الموضوعات إلى الدين، بل هي جزء من التكاليف الدينية. فهي تشتمل على كل القيم الأخلاقية التي يتأسس عليها حياة الفرد والمجتمع، وهذا ما نجده في كل التعاليم الدينية – سواء كانت وضعية أم سماوية – كما أنها دائماً ما تعبر عن الحضارة التي يعيشها الإنسان.

وتنبع أهمية الفكر الأخلاقي في المسيحية والإسلام وغيرها من الديانات الأخرى من كونها تجمع بين النظر والعمل، وبهذا تتوحد جوانب الإنسان المختلفة في الفعل الإنساني بالإضافة إلى أن ما وجدناه في الفكر الأخلاقي في الإسلام أنه لا يحرص على الفرد كإنسان بمفرده منعزلاً عن الآخرين، وإنما يجمع بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة.

وإذا كان الفلاسفة المسلمون قد أدركوا أهمية علم الأخلاق، فقدموا دراسات ذات قيمة حاولوا فيها المزج بين التراث اليوناني والإسلامي كتعبير عن أصالتهم الإسلامية، ورغم أهمية التفكير الأخلاقي في المسيحية والإسلام، فإن ما كتب في الأخلاق المسيحية والإسلام يكاد يكون محدوداً ويحتاج لمزيد من البحث والدراسة لبيان هذا الجانب الثري من جوانب التفكير المسيحي والإسلامي.

ويعد أوغسطين والغزالي من بين أبرز الفلاسفة المسيحيين والمسلمين الذين قدموا نموذجاً للفكر الأخلاقي في المسيحية والإسلام – هذا إلى جانب مكانتهما في الفلسفة – فهما يبينان مدى أثر تعاليم المسيحية والإسلام وتأسيسها لعلم الأخلاق، فقدما لنا رؤية مسيحية إسلامية متكاملة في هذا الموضوع. وليست هذه الدراسة التي أتقدم بها سوى محاولة لإبراز جهود كل من أوغسطين والغزالي في علم الأخلاق وخاصة الفعل الأخلاقي عند كليهما، وهذا هدفنا من هذا البحث.

وكل ما سنحاوله هنا هو عرض موجز بسيط للحقب المختلفة للفكـــر الأخلاقـــي، للدلالة على المراحل التمهيدية لاكتشاف تطور مفهوم الفعل الأخلاقي فقد كانت البداية منذ أن ظهر التفكير الشرقي القديم حيث تكون البداية مع الفعل الأخلاقي في مصر القديمـــة، وكيف تطور في تلك الحقبة الزمنية ولكن بغير أن نفصل القول في هذا التطور وأن يكون ذلك إيماء مختصراً كلما دعت الحاجة إليه.

أما الفكر الأخلاقي عند اليونان فقد كانت هناك نماذج مختلفة اختارتها الباحثة لكي توضح بها كيف تطور الفعل الأخلاقي عند اليونان وعلى ما اعتمد عند بعض الفلاســفة اليونان.

إن أهمية الفعل الأخلاقي هي السبب الرئيسي في اختيار الباحثة لهذا الموضـــوع ولما له من مكانة كبيرة في بناء الأخلاق في الإنسان، وقد كان اهتمامي الأكثر منصباً في الفعل الأخلاقي في الفلسفة المسيحية والإسلامية حيث اخترت أن يكون هناك نمـــوذجين للفعل الأخلاقي في العصور الوسطى فكان القديس أوغسطين هو النمـــوذج فـــي الفكـــر المسيحي والغزالي في الفكر الإسلامي، ووفق التسلسل التاريخي ستكون البداية مع الفلسفة المسيحية أي مع القديس أوغسطين، ومن هنا برزت لي أهداف هـــذه الدراســـة والتـــي تبلورت في عدة تساؤلات هي:

- هل استطاع القديس أوغسطين والإمام الغزالي أن يقدما لنا مـــذاهب أخلاقيـــة تعبر عن روح عقيدة كل منهما؟
- هل هناك إضافات أوضحتها المسيحية لم يستطع الفكـــر اليونـــاني أن يجيـــب عنها؟
- هل ارتبطت الأخلاق بالدين سواء كان عند أوغسطين أو الغزالي، وهل ســـار الغزالي على نفس المنهج الذي سار عليه أوغسطين لمعالجة الأخلاق؟
- ما أهم النتائج التي توصل إليها كل من أوغسطين والغزالـــي فـــي طـــريقهم الطويل لدراسة علم الأخلاق، وهل كانت هذه النتائج ذات تأثير عميق للقارئ بحيث يمكنه من الوقوف على أرضية صلبة أساسها الأخلاق؟
- وما أهم أوجه التشابه والاختلاف بينهما؟

هذا ما حاولت الإجابة عليه من خلال دراسة الفعل الأخلاقي عند أوغسطين والغزالي كنموذجين للفكر المسيحي والإسلامي في العصر الوسيط، إضافة إلى أنه لم يتطرق الباحثون إلى هذه الجوانب الأخلاقية خاصة عند القديس أوغسطين والغزالي بشيء من التفصيل.

كما أن ما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع هو مدى شعوري بقيمته الأخلاقية وأهميته في التأكيد على حرية الإنسان في أفعاله وتصرفاته التي تخضع لإرادته واختياره، هذا بالإضافة إلى توضيح مفاهيم دينية أخلاقية مهمة مثل المفهوم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر، ومدى أثر هذه العقيدة في حياة الإنسان وسلوكه ودفعه للعمل، وبذلك يتنبه الإنسان إلى أهمية شعوره بالمسئولية التي تدفعه للاستقامة والالتزام بواجباته تجاه خالقه وتجاه نفسه ومجتمعه. كل هذا يساعد على حماية مجتمعنا من آثار اللامبالاة التي سادت بين كثير من أبنائه عند المسلمين والمسيحيين على حد سواء.

لقد أولى كل من القديس أوغسطين والإمام الغزالي اهتماماً خاصاً بدراسة الأخلاق، وضح ذلك من خلال القدر الهائل الذي احتلته تلك الدراسة في مؤلفاتهما. فموضوع الفعل الأخلاقي يعد الموضوع الرئيسي لعلم الأخلاق، وقد بينا فيه اهتمام القديس أوغسطين والإمام الغزالي بالإنسان، وبأفعاله ومكانته بين المخلوقات التي ميزه الله تعالى بها، وأن هذا التمييز للإنسان من قبل الله سبحانه وتعالى قد جعله مسئولاً، فصدرت أفعاله عن إلزام يقتضي المسئولية ويستوجب الجزاء وهذه هي شروط الفعل الأخلاقي، وفي هذا البحث بينت مناقشة أوغسطين والغزالي لهذه الشروط.

وقد انتهجت في هذا البحث المنهج التاريخي والتحليلي والمقارن، فالمنهج التاريخي سوف يتضح من اعتماد البحث بشكل أساسي على المصادر الأصلية لأوغسطين والغزالي و(نصوصهما)، والمنهج التحليلي يتضح من خلال اعتماد البحث على تحليل هذه النصوص، والمنهج المقارن يتضح من خلال عقد المقارنات بين آراء كل من أوغسطين والغزالي وآراء الآخرين في مجال الأخلاق، سواء كانوا من مفكري اليونان والمسيحية والإسلام بالقدر الذي يسمح به موضوع الدراسة.

وسوف يكون تفصيل البحث على النحو التالي:

مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

المقدمة: نعرض فيها لأهمية الأخلاق بشكل عام في حياة الإنسان، وأهمية الأخلاق في الأديان المختلفة – سواء كانت وضعية أم سماوية – كما نعرض المنهج المستخدم في هذه الدراسة.

الفصل الأول: موضوعه: "لمحة تاريخية عن الفعل الأخلاقي" نعرض فيه أولاً لكلمة أخلاق في اللغة والاصطلاح، ثم الفعل الأخلاقي في الفكر الشرقي القديم ثم نبين نماذج للفعل الأخلاقي في الفكر اليوناني نعتمد فيها على أفلاطون وأفلوطين باعتبارهما من أكثر الشخصيات تأثيراً على أوغسطين.

الفصل الثاني: وموضوعه "البعد الإنساني للأخلاق عند أوغسطين والغزالي" تحدثت فيه عن النفس الإنسانية بما أنها محور للسلوك الأخلاقي عند كل من أوغسطين والغزالي، فعرضت فيه حقيقة النفس عند كل منهما وكان عرضنا لها من منظور أخلاقي بمعنى الناحية التي تربط بين دراستها ودراسة الأخلاق عند كل من أوغسطين والغزالي، ثم نعرض لعلاقتها بالبدن من جهة الأخلاق بغير أن نفصل القول في إثبات وجودها وبيان حدوثها وخلودها.

الفصل الثالث: وموضوعه مصادر الإلزام الخلقي عند كل من أوغسطين والغزالي وتوضيح ما للعقل من أهمية في الفعل الأخلاقي وكيف يكون الضمير مصدر من مصادر الإلزام، وأن العقل شرط من شروط الشريعة الإلهية.

الفصل الرابع: موضوعه "المسئولية الأخلاقية عند أوغسطين والغزالي". وكنت قد تعرضت فيه لحرية الإرادة عند كل منهما وما العلاقة بين الإرادة الإلهية بالإنسانية، موضحة القدر وحرية الإرادة ومدى تأثيرها على الفعل الإنساني.

الفصل الخامس: موضوعه "جزاء الفعل الأخلاقي عند أوغسطين والغزالي، نتحدث في هذا الفصل عن الجزاء عند كل من أوغسطين والغزالي بمختلف أنواعه سواء كان بالثواب أم بالعقاب وهذا الجزاء ينقسم إلى جزاء أخلاقي وهو نتيجة محاسبة الإنسان لنفسه، وجزاء إلهي شامل لحياة الإنسان ومماته وبعثه وقد وضعت كل واحد منها على حده.

وعلى الرغم من أن هذه الفصول يتم عرضها بطرقة منفصلة لكنها تشكل وحـــدة متكاملة لدراسة الفعل الأخلاقي عند أوغسطين والغزالي وعقد المقارنات بين كل منهمـــا في كل جزئيات البحث.

وأخيراً تأتي الخاتمة لنعرض فيها لأهم نتائج البحث التي انتهينا إليها.

الفصل الأول
لمحة تاريخية عن الفعل الأخلاقي

المبحث الأول : تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

أولاً : تعريف الأخلاق لغة

ثانياً : تعريف الأخلاق اصطلاحاً

المبحث الثاني : نماذج من الفعل الأخلاقي في الفكر الشرقي القديم

أولاً : المصريون القدماء

ثانياً : الزرادشتية

ثالثاً : الكونفشيوستية

المبحث الثالث : نماذج للفعل الأخلاقي في الفكر اليوناني

أولاً : الفعل الأخلاقي عند أفلاطون

ثانياً : الفعل الأخلاقي عند أفلوطين

خلاصة وتعقيب

الفصل الأول
لمحة تاريخية عن الفعل الأخلاقي

تمهيد:

يعد مبحث الأخلاق مبحثاً أساسياً من مباحث الفلسفة، واهتم به الفلاسفة على مر العصور بتخصيص مكان مهم للأخلاق في مذاهبهم الفلسفية، وذلك لأن قوام الأخلاق هو أن الإنسان حيوان أخلاقي، وأنه يشارك الحيوان في الحس فينزع معه إلى إشباع حاجاته العضوية ومطالبه الجسمانية، وينفرد دونه بالتأمل العقلي، فيقوى على أن يعزل واقعه، ويباشر النظر فيه، ويتعالى عليه، في ضوء مثل أعلى يدين له بالولاء، أنه الكائن الوحيد الذي يملك إرادة التغيير عن وعي وتبصر، فينزع بمحض تفكيره وإرادته إلى مجاهدة ميوله وغرائزه، وضبط دوافعه ونوازعه والسيطرة على أهوائه ونزواته، وتوجيه رغباته ومطامحه إلى أقصى مطالب الكمال الإنساني.

ومن هنا نستطيع القول بأن الدعوة الأخلاقية قديمة قدم المجتمعات البشرية، فما اجتمعت طائفة من الناس في أي ركن من أركان الأرض، وفي أي عصر من عصور التاريخ، إلا وقد نجم عن إقامة أفرادها بعضهم مع بعض، قواعد للتمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والكمال والنقص وغيرها من المعايير[1].

وعلى هذا نجد أن الأخلاق انحصرت لدى الفلاسفة وغيرهم في تعريف الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والبحث في السلوك الإنساني وعن مبدأ عام تؤسس عليه الأخلاق.

---

(1) توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1979م، ص17-18.

المبحث الأول
تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

أولا: تعريف الأخلاق لغة:

الأخلاق – من حيث اللغة – هي جمع خُلُق، وهي العادة والطبع، ويراها القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم رؤية وفكر، فالراسخ من صفات النفس لا يكون خلقاً، فالأخلاق لفظ يطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس سواء أكانت محمودة أم مذمومة، ولذا يسمى علم الأخلاق بعلم السلوك أو تهذيب الأخلاق أو فلسفة الأخلاق، ويصبح المقصود به معرفة الفضائل وكيفية اقتنائها ومعرفة الرذائل وبعد النفس عنها، وهنا يميز جميل صليبا بين عدة معان منها: الأخلاق النسبية، والأخلاق المطلقة، والأخلاق النهائية، والأخلاق المؤقتة، وأخلاق المواقف، والأخلاق المعلقة[1].

وقال الفيروز آبادي: "الخُلُق بالضم، وبضمتين: السجية والطبع، والمروءة والدين"[2].

وقال ابن منظور: "الخُلُق: أعني الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: آية 4]، والجمع: أخلاق.

والخلق السجية. يقال: خالط المؤمن وخالف الفاجر، وفي الحديث: "ليس في الميزان أثقل من حسن الخلق"، والخُلق: بضم اللام وسكونها، وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق

---

(1) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص49–51.

(2) مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م، ص793، مادة "الخلق".

في غير موضع[1].

ثانيا: تعريف الأخلاق اصطلاحا:

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة الأخلاق فقد وضع العلماء والفلاسفة للأخلاق عدة تعريفات، فقد ذكر الجرجاني بأن "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً"[2].

وعرفه ابن مسكويه في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" بقوله: الخُلُق: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً"[3].

ويقدم لنا أندريه لالاند تعريفين للأخلاق يقول في:

أولها: "إن الأخلاق هي ما يتعلق إما بالآداب أو بالقواعد السلوكية المسلم بها في عصر أو في مجتمع معين، وبهذا المعنى، فإنه يطلق واقعاً أخلاقياً على مجموعة الآداب والأحكام التي يمكن أن تكون موضوع مشاهدة وملاحظة"[4].

---

(1) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق نخبة من الأساتذة والعاملين بدار المعارف، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، ب.ت، ص86-87، مادة "خلق".

(2) السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، حققه ووضع فهارسه د. عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة، 1982م، ص113، حرف الخاء، مادة (خلق).

(3) أحمد بن محمد بن مسكويه (ت1030هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1985م، ص25-26.

(4) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1996م، ص837-838.